164 - فأنزل ا D { إن في خلق السموات والأرض } ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما ترى فيها من الشمس والقمر والنجوم والآية في الأرض مدها وبسطها وسعتها وماترى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات .

قوله تعالى : { واختلاف الليل والنهار } أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى : { وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة } (62 - الفرقان) قال عطاء : أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمعه نهر وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال ا تعالى { وآية لهم الليل نسلخ منه النهار } (37 - يس) .

{ والفلك التي تجري في البحر } يعني السفن واحده وجمعه سواء فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي الواحد يذكر قال ا تعالى : في الواحد والتذكير { إذ أبق إلى الفلك المشحون } (140 - الصافات) وقال في الجمع والتأنيث { حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة } (22 - يونس) .

{ والفلك التي تجري في البحر } الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء { بما ينفع الناس } يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب { وما أنزل ا من السماء من ماء } يعني المطر قيل : أراد بالسماء السحاب يخلق ا في السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق ا تعالى الماء في السماء ثم ينزل من السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض { فأحيا به } أي الماء { الأرض بعد موتها } أي بعد يبوستها وجدوبتها { وبث فيها } أي فرق فيها { من كل دابة وتصريف الرياح } .

قرأ حمزة و الكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ريح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات { الريح العقيم } (41 - الذاريات) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول من سورة الروم { الرياح مبشرات } (456 - الروم) اتفقوا على جمعها وقرأ أبو جعفر سائرها على الجمع والقراء مختلفون فيها والريح يذكر ويؤنث وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء .

وقيل : تصريفها أنها تارة تكون لينا وتارة تكون عاصفا وتارة تكون حارة وتارة تكون

باردة قال ابن عباس : أعظم جنود ا الريح والماء وسميت الريح ريحا لأنها تريح النفوس قال شريح القاضي : ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية : أربعة للرحمة وأربعة للعذاب فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر { والسحاب المسخر } أي الغيم المذلل سمي سحابا لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر { بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون } فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقا وصانعا قال وهب بن منبه : ثلاثة لا يدرى من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب